العمل والعمال

للأستاذ حامد العبد
المدير العام لمصلحة العمل

في هذه الفترة الدقيقة الهامة من حياة العالم، تتجه جميع الانظار في كل بلاد الدنيا تقريبا، الى مسائل العمل والعمال، تمهيدا لوضع النظم الجديدة، التي تلائم سياسة كل أمة من الناحية الصناعية أو الاقتصادية أو الزراعية، لمواجهة المستقبل وما سيقوم فيه من تنافس وتسابق، ولن يكون النصر في هذه الميادين جميعها، إلا للأمم التي تعرف كيف تنظم أمورها، وكيف تنفذ ماتتفق عليه من خطط و برامج .

وها نحن أولاء في مصر، نرى الزمن يتحول بنا إلى ميادين الصناعة بعد أن مهدت لنا ظروف حربين عالميين كبيرين هذا التحول، ولم يعد ينقصنا لكي نسلك هذا الطريق الجديد وندخل في مضماره إلا التنظيم والسمو بالمجهود الفردي لكل عامل أو صاحب عمل، نحو خير البلاد ونجاح المجهود، فإذا تم ذلك شعر كل واحد بالفائدة التي تعود عليه كفرد من المجموع وجاءته كاحدى نتائج النجاح لبلاده — أقول اذا تم ذلك شعر بأن هدفه أو أمله الوحيد لم يكن صالحه الشخصي أو حب ذاته .

وكما يصح أن يقال هذا للعامل، فانه يجب أن يقال أيضا لصاحب العمل أولا، وكما يقال للفرد يقال للهيئة سواء أكانت نقابة عمال أو هيئة من هيئات أصحاب الأعمال .

ولا أعتقد أن تنظيما يمكن أن ينجح، أو يثمر ثمراته الطيبة، إلا إذا كان قائما على وحدة المصلحة ووحدة الغرض بين العامل وصاحب العمل، فكل منهما ليس إلا طرفا واحدا من أطراف الصناعة، وأقصد بها اليد العاملة وأداة العمل والمال والعقل، ولا يمكن أن يسير عمل من الأعمال بغير هذه الوسائل الأربع، كما لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا بانسجامها، وتناسقها، مع انعدام التنافر بينها، وربما كان المسئول في نظري عن ضمان هذا الانسجام وتوافر هذه الوحدة هو العقل، و بمعنى آخر هو صاحب العمل .

ولا أنكر أن على العامل واجبات لا تقل عن واجبات صاحب العمل، لكن رجاحة العقل عند الأخير وضعف جناح الأول في كل أسباب الحياة، يجعلان العبء كله على صاحب العمل لضمان حسن التوجيه وحسن الرعاية، ولتوفير العناية بالعامل، كعنايته بتنمية ماله أو صيانة آلاته ومعداته .

وهنا تنشأ واجبات صاحب العمل في ضمان سلامة العامل في عمله وضمان صحته وعيشه، وضمان العيش هذا لا يتطلب من صاحب العمل أكثر من تقدير أجر معقول لمجهود معقول يشجع بالزيادة كلما زاد الانتاج أو أتقن العمل .

* نص المحاضرة التي افتتح بها برنامج المحاضرات الثقافية للعمال بمحطة الاذاعة اللاسلكية يوم ١٩ مايو الماضي .

كما تنشأ واجبات العامل أيضا فى الاخلاص لعمله باتقانه وتحسينه ما أمكنه التحسين والاتقان ، واطاعته للنظام وحسن السلوك ما أمكنه ذلك .

وانى لا أفهم فى الحقيقة سببا معقولا لقيام أى نوع من الخلاف بين صاحب العمل والعامل مما يمكن أن يسمى بنتائجه خلافا ، ولا أفهم لماذا لا يقوم الوئام دائما مقام الخلاف ، والمحبة مقام الكراهية التى ألمسها فى بعض الأحيان ، ومن حسن الحظ أنها قليلة نادرة . . . . ، ولماذا لا يكون مكان العمل من نفوس الطرفين كبيت الأسرة ، يعرف رب الأسرة أوصاحب العمل انه هو المسئول عمن هم تحت رعايته ، فلا يقسو ولا يتهاون ، ولا يجامل ولا يناهض ، كذلك يعرف العامل أنه كاحد الأبناء . يقبل اللوم أو العقوبة من صاحب العمل كما يقبلها عادة من رب الأسرة ، ويفترض أنه باللوم أو بالعقوبة يقوم من اعوجاجه ولا يؤذيه ويظهر المله منه ولا ينغصه ، ويشعره بالغضب وهو يعطف عليه .

ولا أدرى لماذا يأتى فى هذه المناسبات دائما دور الدخيل الأجنبى عن الطرفين وعن بيت العمل ، أو يأتى دور أحد أعضاء أسرة العمل ممن تملك الشر من نفوسهم ، فيجعل من الحبة قبة ، ويثير الخلاف بدلا من تهدئته ، ويلبس لباس الصديق . فيقف فى أحد الجانبين متحمسا أكثر من صاحبه ، فتتطور الحوادث ويصبح الالفات البسيط أو الخلاف البسيط نزاعا كبيرا . تتدخل بسببه الحكومة بين أهل البيت فى العمل ، وبين أفراد أسرة المصنع .

وهنا أرجو أن يسمع الجميع منى ما أقوله ، وأرجو أن يضعوه موضع العناية من نفوسهم ، وأرجو أن ألخصه فى أسئلة بسيطة وهى : هل يرضى واحد منا فى بيته وفى وسط أسرته ، أن يتدخل أجنبى بينه وبين أهله الحق أو غير الحق ؟ ولماذا يقبل هذا التدخل من الغير . وليت الأمر قاصر على الغير فقط ، بل يتعداه إلى من لا تربطه بأوساط العمل أية رابطة . فلا هو منهم . ولا من بيئتهم ولا من مستوى حياتهم .

لكننا حقيقة فى بلد العجائب ، نجد الغنى يدافع عن الفقير ويستمطر الدمع من أجله ، ونجد العالم العظيم يدافع عن ضحايا الإهمال والجهل ، ونجد من لا عمل له فى الحياة أبدا إلا مظهرها والتمتع بها ينتقد أساليب الحياة عند العمال والفقراء ، ويشكو من زيادة ساعات العمل وإرهاق العمال ، وأظننى فى هذه المناسبة لست فى حاجة أبدا لذكر الأمثلة على صدق ما أشاهد ، المستمعون من العمال أو من غيرهم يعرفونهم جميعا كما أعرفهم ، ويلمسون فيهم ما ألمسه .

إننا لا ننكر أبدا أن يتقدم كل مصلح إلى الميدان . فيبذل النصح ويسدى المشورة . وليس بيننا من يدعى الاعتصام من الخطأ أو القصور ، وليس فينا من لا يحتاج للرأى السديد والتوجيه الصحيح ، وليس فينا من يسمو على طبيعة الإنسان وقصوره مهما أوتى من الحكمة والقدرة ، لكننا جميعا ومنا العمال وأصحاب الأعمال ، نطالب بالإخلاص ونزاهة القصد . وعمل الخير للخير ، والتحدث عن الإصلاح للإصلاح ، لا للشهرة ، ولا لإرضاء الشهوة ، ولا لمجرد التجريح والتعييب .

نحن جميعا فى بداية نهضة جديدة نخطئ ونعاود الخطأ، ونحتاج قطعا للرأى الصائب والتوجيه السليم كما نحتاج لقسوة الزمن فى التجارب، وهى أعظم دروس الحياة فلا يضيرنا أبدا أن ينتقد عملنا فى كل يوم متى توفر حسن النية وسلامة القصد .

وليس هذا وحده هو ما أريد إلفات النظر إليه، بل إنى أعود لبيئتنا الأصلية، وهى العمال وأصحاب الأعمال، فكلاهما له موقف غريب أيضا .

تنظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل فى كل بلاد الدنيا بالتشريعات المختلفة، ونحن نتبع نفس الطريقة كغيرنا، ولكننا نجد أن كل التشريعات التى صدرت تقريبا لم ترض طوائف العمال، ويقولون دائما بتصورها عن تحقيق أغراضهم، وضمان العدالة المطلوبة لهم.

كذلك أصحاب الأعمال، لا يرضون بها ويعترضون حتى على إصدار التشريع ذاته، بحجة أن أوانه لم يأن بعد، أو أنه يعتبر طفرة سريعة .

ولست أدرى فى الحقيقة كيف نرضى هؤلاء، أو هؤلاء، وإنما نحن نكتفى بارضاء الضمير، فالتشريع كقاعدة للتعامل مهما كان فيه من القصور أو الطفرة خير من ترك العلاقة بلا قاعدة أو نظام أو قانون، والرجوع إلى حكم القانون خير من تحكيم الظروف والملابسات على أى حال، وعلى كل فقد رأت الحكومة الحاضرة ارضاء للطرفين أن تعيد إنشاء مجلس العمل الاستشارى الأعلى وفيه يمثل العمال كما يمثل أصحاب الأعمال، وهى تعرض على هذا المجلس كل تشريع أو تنظيم قانونى قبل تنفيذه، لكى تتعرف وجهة نظر الطرفين، وأعتقد أن فى هذا ارضاء لهما كل الرضا .

هناك نقطة أخرى، أقيدها هنا الحيطة للمستقبل والنظر إلى ما سيواجهنا من صعوبات البطالة، وضعف مستوى الانتاج فى الصناعات المحلية بالقياس إلى ما ينتظرها من منافسة أجنبية، بعد فتح باب الاستيراد أو التصدير من دول أوروبا وأمريكا . وقد مرت علينا فترة الحرب ونحن مشتغلون بزيادة كمية الانتاج من كل نوع، فلم تكن لدينا الفرصة لتحسين الانتاج فى ذاته، مما قد يوجد صعوبة لدى الصانع أمام المستهلك وهو يعرض بضاعته المحلية أمام الانتاج الخارجى .

هذه كلمة عامة قصدت أن أمهد بها لتفاصيل الاحاديث المقبلة عن العمل والعمال، فى مثل هذا الموعد من كل أسبوع ولمدة ثمانية أسابيع، منى ومن حضرات زملائى فى مصلحة العمل. وأرجو أن نوفق إلى كثير من الخير الذى نرجوه للعامل ولصاحب العمل، وأن نوفق إلى إيجاد جو من الشعور بجدية الموقف، فلا يصح أن نلهو والعالم يجد استعدادا للمستقبل، ولا أن نغفل والشعوب الأخرى تستيقظ من كابوس الحرب لتبنى مستقبلها للسلام .